العمارة الإسلامية في ليبيا من خلال كتابات الجغرافيين والرحّالة فيما بين القرنين 5 – 8 هـ / 11 – 14 م دراسة في التراث المادي

أ. د. علي محمد سميو
جامعة مصراتة

الملخص:

تمثل فنون العمارة والبناء المرآة الحقيقية لتراث أي أمة، وماضيها الخالد، وقد صور الجغرافيون والرحالة ما تمتع به أهالي إقليمي برقة وطرابلس من تطور في مجال فنون العمارة خلال الفترة ما بين القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري/ القرن الحادي عشر إلى الرابع عشر الميلادي، إذ تمثل هذه الفترة التاريخ الإسلامي لليبيا، وحُسن البنـــاء وتطوره، وهو ما نستشفه من العـديد مـــن النصوص التي وردت فـــي كتاباتهم المتعددة.

وتتجلّى أهداف الدراسة في النقاط الآتية:

1– محاولة نفض الغبار عن ذلك الإرث التليد والتاريخ المجيد ، للعمارة الإسلامية في ليبيا.

2– إبراز أهم معالم تلك الفنون المعمارية بوصفها تراثاً يجب المحافظة عليه.

3– التعريف بتلك الفنون المعمارية وإيضاحها للنشء والأجيال القادمة كونها تشكل تاريخًا يجب إبرازه والمحافظة عليه.

4– محاولة إبراز التراث الحضاري المعماري خاصة الموجود منه والحفاظ عليه.

أهمية الدراسة: يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

1– دور المؤسسات التعليمية في الحفاظ على تراث المعمار الإسلامي وتاريخه وإيصاله إلى أذهان الطلاب والأجيال القادمة والتعريف به؛ لأنه يمثل الهوية الوطنية لكل الليبيين.

2– التعريف بتاريخ العمارة الإسلامية ومراحل تطورها بمختلف أشكالها وألوانها.

3– محاولة التعريف وإبراز واقع التراث المادي للبلاد الليبية وما يتعرض له من إهمال وتشويه.

تتمثل إشكالية الدراسة: في محاولة الإجابة عن العديد من التساؤلات وذلك للتعريف بتلك المنشآت المعمارية وكيفية المحافظة عليها.

- ما الكيفية المثلى للحفاظ على هذا التراث والإرث التاريخي للبلاد الليبية وحمايته من الضياع ومن عبث العابثين؟
- وما الآلية في المحافظة عليه؟
- وما دور المتخصصين في مجال الآثار والتاريخ في ذلك؟
- وما سبب عزوف الحكومات التي توالت على حكم ليبيا عن الاهتمام بها إلى وقتنا الحاضر؟

لقد تم الاعتماد في هذه الورقة البحثية على المناهج التاريخي السردي والوصفي والاستقرائي في محاولة لجمع المعلومات من المصادر التاريخية القديمة المعاصرة للفترة الزمنية للدراسة؛ بالإضافة إلى محاولة الوصول إلى النتائج المرجوة من هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: (برقة– طرابلس– قصور– أسوار– مقابر– رحالة– جغرافيين).

Abstract:

The arts of architecture and construction represent the true mirror of any nation's heritage and its immortal past. Geographers and travelers have depicted the development enjoyed by the people of Cyrenaica and Tripolitania in the field of architectural arts during the period between the fifth to the eighth century AH / the eleventh to the fourteenth century AD, as these represent... The period of Islamic history of Libya. A period that indicates good construction and development, which we can see through many of the texts contained in their various writings.

The objectives of the study lie in the following points.

1 - An attempt to dust off that ancient legacy and glorious history of Islamic architecture in Libya.

2 - Highlighting the most important features of these architectural arts as a heritage that must be preserved.

3 - Introducing these architectural arts and making them clear to young people and future generations that they constitute history that must be highlighted and preserved.

4 - Trying to highlight and preserve the architectural cultural heritage, especially the existing one.

The importance of the study: It can be summarized in the following points:

1 - The role of educational institutions in preserving the heritage and history of Islamic architecture, conveying it to the minds of students and future generations, and introducing it to represent the national identity of all Libyans.

2 - Introducing the history of Islamic architecture and the stages of its development in its various forms and colours.

3 - An attempt to define and highlight the reality of the material heritage of the Libyan country and the neglect and distortion it is subjected to.

The problem of the study is the attempt to answer many questions in order to introduce these architectural structures and how to preserve them.

In this research paper, we have relied on the narrative historical approach and the descriptive approach in an attempt to collect information from ancient historical sources contemporary to the time period of the study in an attempt to reach the desired results of this research.

Keywords: (Cyrenaica- Tripoli- palaces- walls- cemeteries- travelers- geographers).

مقدمة:

من خلال البحث فيما كتبه الجغرافيون والرحالة فترة ترحالهم وتجوالهم في العديد من المناطق والمدن والقرى الليبية حاولنا قدر الإمكان استقراء وجمعها

النصوص من مظانها؛ للوصول إلى أشكال تلك المعالم والمباني التي كانت موجودة خلال فترة الدراسة وقراءتها وتحليلها، للوصول إلى طبيعة الحياة الاجتماعية وحياة المجتمع الليبي وإمكانياته في مجال العمارة والبناء.

والجدير بالذكر أن السؤال الذي يطرح نفسه لذا القارئ، قوله، لماذا تمَّ الاعتماد على المادة العلمية على كتب الجغرافيين والرحّالة دون الاعتماد على كتب التاريخ؟ والإجابة عن هذا السؤال تتجلّى في كون أن كتب التاريخ لم تشير لا من بعيد ولا من قريب إلى العمارة الإسلامية في ليبيا فترة وجود الحكم الإسلامي إلا في نصوص قليلة مقتضبة، لا ترتقي للاعتماد عليها في وصف عمارة بلاد لهذه الفترة الزمنية الطويلة. عكس الجغرافيين والرحالة الذين كان جُلّهم مروا بالمنطقة وكانوا شهود عيان وكانت كتابتهم كما شاهدت أعينهم.

أولا– المساكن والشوارع:

تمثل المساكن والشوارع الصورة الحقيقية التي تعطي الجمال والأناقة لأي مدينة أو قرية، وباستقرار الناس في مكان ما، تظهر إبداعاتهم في البناء والتشييد الذي من خلاله تظهر الملامح الحقيقية لمعالم حضارتهم وتطورهم، وإلى أي مدى وصل التقدم والتحضر عندهم. وقد تحدَّث بعض من الجغرافيين والرحّالة الذين مروا ببرقة وطرابلس عن عماراتها، وجمال مبانيها، واتساع شوارعها، فيقول ابن حوقل عن مدينة اجدابيا وعن المواد التي استخدمت في بناء دورها ومنازلها: ".... وبناؤها بالطين والأجرّ وبعضها بالحجارة"(1)، كما وصف مدينة سرت بأن: "...عليها سوراً مبنياً من الطين"(2)، وهو ما يؤكده المقديسي بقوله: "... وأجدابية عامرة، بنيانهم حجارة على البحر...."(3)، ويأتي بعدهم البكري ليؤكد أن بناء المساكن كان يتم بالطوب والحجارة، حيث يمدنا بنص بالغ الأهمية عن أسلوب التغطية في بيوت مدينة أجدابيا بما نصه: ".... وليس لمباني مدينة أجدابية سقوف خشب إنما هي إقباء طوب لكثرة رياحها

(1) ابن حوقل، أبي القاسم محمد، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م، ص 70.

(2) المصدر نفسه: ص 70.

(3) المقديسي، أبوعبدالله محمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ط2، ليدن، 1909 م، ص 224.

ودوام هبوبها..." [4]، وهو الأمر الذي يتضح في ضوئه استخدام عنصر القباب في التغطية في العمائر خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وربما قبل ذلك حسب رواية البكري، كما تتجلّى أهمية النص أيضًا في أن هذا الأسلوب في التغطية جاء نتيجة مؤثرات بيئية تمثلت في العامل المناخي السائد في إقليم برقة آنذاك، وقول الرحّالة أن ليس لمبانيها سقوف خشب، أن رأوا في مناطق أخرى أقل رياحًا من أجدابيا بها مبانٍ سقوفها من الخشب على الرغم من عدم وجود نص صريح بذلك. ويبدو أن هذا الأسلوب من البناء قد ظل مستعملاً إلى ما بعد القرن الخامس الهجري، حيث ذكر كل من صاحب كتاب الاستبصار، وياقوت الحموي، والحميري، عند حديثهم عن مدينة إجدابية قولهم: ".... وليس لمبانيها سقوف خشب، إنما هي قباء من الطوب لكثرة الرياح بها...." [5].

ويشير الجغرافيون والرحّالة إلى أن مناطق الواحات والبادية البعيدة نسبيًا عن ساحل البحر والمؤثرات المناخية الساحلية، قد بنو مساكنهم من القياطين والخيام وبيوت الشعر، وهو ما يوضحه البكري أثناء حديثه عن الطريق من طرابلس إلى ودان مارًا ببلدة هوارة نحو الجنوب[6]، ويقول التجاني في حديثه عن برقة وجدبها بأنه شاهد ركبًا قادمًا منها ذكروا له: "... أنهم كانوا يمرون في كثير من أرضها بالأحياء والخيام فيها مضروبة، ...." [7]، ويقول أيضًا التجاني عند حديثه عن قرية زنزور بأن "... مساكنها دور مبنية،..." [8].

(4) البكري، ابوعبيدالله عبدالله بن عبدالعزيز، المسالك والممالك، تحقيق: أدريان فان ليوفن، اندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992م، 650/2.

(5) مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق: سعد زغلول، دار الشؤون الثقافية الغامة، بغداد، 1986م، ص 144، ياقوت الحموي، شهاب الدين أبوعبدالله، معجم البلدان، دار بيروت، بيروت، 1979م 100/1، الحميري، محمد بن عبدالله، الروض المعطار في خبر الأقطار،تحقيق: إحسان عباس،دار العلم للطباعة، بيروت 1975م، ص 12.

(6) البكري، المصدر السابق، 660/2، كذلك: ياقوت الحموي، المصدر السابق، 365/5-366.

(7) التجاني، أبومحمد عبدالله، رحلة التجاني، تقديم: حسن حسني عبدالوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981م، ص 191.

(8) المصدر نفسه: ص 214- 215.

أما الشوارع فتختلف من مدينة إلى أخرى بحسب حجمها واتساعها، وليس هناك أبلغ من نص الرحالة ابن رشيد السبتي في حديثه عن مدينة طرابلس في وصف شوارعها ومبانيها إذ قال: "... وبها مدينة حسنة الوضع رائعة الصنع، والمدينة بجملتها حسنة البناء متسعة الشوارع، حتى كأنها تحاكي شيئًا ما من وضع الإسكندرية...." [9]، كما حظيت طرابلس باهتمام كبير من التجاني، لما تمتاز به من استقامة واتساع ونظافة، وفي ذلك يقول: "... ورأيت شوارعها فلم أر أكثر منها نظافة ولا أحسن اتساعًا واستقامة، وذلك أن أكثرها تخترق المدينة طولاً وعرضًا من أولها إلى آخرها على هيئة شطرنجية، فالماشي يمشي بها مشي الرخ خلالها...." [10].

ومما سبق نستخلص أن المباني السكنية في إقليمي برقة وطرابلس كانت عبارة عن مساكن مبنية من الحجارة والطين، خاصة منها القريبة من ساحل البحر، وخيام وبيوت شعر وقياطين في مناطق جنوب الواحات، والتي عادة ما يكون سكانها يعتمدون في حياتهم ومعاشهم على تربية الحيوانات والرعي.

ثانيا– القصور:

جمع قصر [11]، وهو عبارة عن حصن متوسط المساحة، وقد يكون حصنًا كبيرًا، وقد يبنى إلى جانبه حصن آخر وحصن ثالث، وقد يحدث أن يتسع العمران فتنشأ مدينة صغيرة أو كبيرة[12]، وكان الغرض من بنائه هو تحصين السواحل والدفاع عنها من أي اعتداء خارجي، كما ظهرت القصور في الواحات الجنوبية، وقد ورد ذكرها في كتابات الجغرافيين والرحالة بأعداد كبيرة وإن اختلفت التسمية من

(9) ابن رشيد السبتي، أبوعبدالله بن عمر، رحلة ابن رشيد، مخطوط الاسكوريال، تحت رقم: 1736، ص 1، نقلا عن: محمد يوسف نجم، إحسان عباس، ليبيا في كتب الجغرافيا والرحلات، دار ليبيا للنشر ، بنغازي، ص 116–117.

(10) التجاني، المصدر السابق، ص 237.

(11) أطلق على القصور اسم "المناظر" على الساحل الشامي، وقد حل محله اصطلاح جديد في العصر المملوكي، هو لفظ "المرقب"، ويبدو أن أهل الأندلس استعملوا اصطلاحا ثالثًا هو لفظ "الطلائع وعرفت في شمال إفريقية باسم القصور والرباطات= مجموعة من الباحثين، معالم الحضارة الإسلامية، ص 197، كذلك: محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، (الكويت، أغسطس 1988م)، العدد 128، ص 135– 136.

(12) محمد عبد الهادي شعيرة، الرباطات الساحلية الليبية الإسلامية، المؤتمر التاريخي من 16–23 مارس 1968م، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب، ص 237.

جغرافي إلى آخر، فبعضهم يذكرها باسم قصور، وبعضهم الآخر باسم الحصون، وبعضهم باسم رباط وإلى ذلك. وكان أول من طالعتنا كتاباته عن القصور في برقة وطرابلس في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي الجغرافي البكري الذي اعتمد عليه الكثير من الجغرافيين في هذا الصدد، وقد ذكر منها: قصر أبي حليمة وقصر الشماس وقصور أجدابية وهي ثلاثة، قصور الفاروج وقصر ابن ميمون وقصر مغمداس وقصور فزان وقصور جاوار وقصور كوار[13].

ويعد الإدريسي أشهر من تحدث عن القصور خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، حيث ذكر أن القصور الواقعة بين طرابلس وسرت سبعة قصور وهي: قصر المجتني ورداسة وزغوغا وتاورغاء والمنصف وقصور حسان، مغمداس[14] [الأصنام] [15]، كما ذكر الإدريسي العديد منها في المنطقة التي بين سرت وبرقة والتي منها: قصر العبادي، اليهودية، العطش، منهوشة، بئر الغنم، الفاروخ، حرقرة، بوسمت، سلوق[16]. وتعتبر قصور حسان أشهر هذه القصور على الإطلاق إذ تناولتها كتابات الجغرافيين والرحالة والمؤرخين[17]، يقول ياقوت الحموي عن تاريخ

(13) البكري، المسالك والممالك، 649/2، 651، 653، 659-661.

(14) ابن خرداذبة، أبوالقاسم عبيدالله، المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، ص 224.

(15) الإدريسي، أبوعبدالله محمد، نزهة المشتاق في أخترلق الآفاق، عالم الكتب، ط1، بيروت 1840م، 314/1.

(16) المصدر نفسه، 315/1.

(17) وردت هذه القصور عند الكثير من الجغرافيين والرحالة والمؤرخين منهم على سبيل المثال لا الحصر:

- البكري، المصدر السابق، 653/2.
- العياشي، أبوسالم عبدالله، الرحلة العياشية، فاس، 1316 هإ، ص102.
- الحشائشي،محمد بن عثمان،رحلة الحشائشي،تحقيق:علي مصطفى المصراتي دار لبنان،ط1،بيروت1965م، ص 196.
- ليون الأفريقي،الحسن بن محمد الوزان وصف إفريقيا،ترجمة:عبدالرحمن حميدة،راجعه: علي عبدالواحد، 107/2-108.
- ابن عبدالحكم، عبدالرحمن بن عبدالله، فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق: عبدالله انيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964م، ص 63.
- البلاذري، الإمام ابي الحسن احمد، فتوح البلدان، تصحيح: عبدالقادر محمد، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م، ص 140.
- ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبدالواحد، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، ط3، بيروت، 1980م، 32/4.

إنشائها: ".... كان عبد الملك بن مروان[18] سيّر حسان بن النعمان الغساني إلى أفريقية لمحاربة البربر فواقعهم فهزموه، فرجع عنهم وأقام بأفريقية خمس سنين، وبنى في مقامه هناك قصورًا نسبت إليه إلى هذه الغاية..." [19]، ويحدثنا ابن سعيد عن قصر أحمد بقوله: "... وهو آخر حد أفريقية حيث الطول 41 درجة و22 دقيقة، والعرض مع خط الإقليم الرابع، وفي عرضه قصور مسراته تمتد 12 ميلا...." [20]، كما تحدث عن مدينة سرت وقال إنها: "... من القواعد القديمة المذكورة، ... وقد خربها العرب ولم يبق منها إلا قصور يسكنها أتباعهم...." [21]، وقد عدّد الرحّالة العبدري هذه القصور الموجودة في مدينة سرت ونواحيها وذكر منها: الشبيكة والمرية والصعافنة، وقال في غالبها يطلق عليها قصور سرت[22]، ويستمر العبدري في الحديث عن القصور أثناء مروره بأرض برنيق وقد عدها: القمانس وهي ثلاثة قصور متقاربة، قمينس وجليط وقصر أجدابية، كما ذكر أثناء مروره بمسراته أن هناك قصوراً قديمة ما هي إلا قصور مسراته التي

– ابن عذاري، أبوالعباس أحمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3 بيروت، 19780م، 26/1.

– النويري، شهاب الدين أحمد، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: حسين نصار، مراجعة: عبدالعزيز الاهواني، مركز تحقيق التراث، القاهرة، 1883م، 36/24.

– ابن ابي دينار، ابوعبدالله محمد، المؤنس في اخبار أفريقية وتونس، ط1 ، تونس، ص 62.

– البغدادي، صفي الدين عبدالمؤمن، مراصد الإطلاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار احياء الكتب العربية، ط1، 1954م، 110/3.

(18) عبد الملك بن مروان من أعظم خلفاء الدولة الأموية، تولى الخلافة بعد موت أبيه سنة 65هـ فضبط أمورها، ونقلت في أيامه الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية، وهو أول من صك الدنانير= الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط3، 312/4.

(19) ياقوت الحموي، المصدر السابق، 366/4.

(20) ابن سعيد، ابي الحسن علي بن موسى المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1970م، ص 146.

(21) المصدر نفسه، ص 127.

(22) العبدري، أبوعبدالله محمد الحاحي، رحلة العبدري، تحقيق: أحمد بن جدو، منشورات كلية الآداب، الجزائر، سلسلة رقم (1)، ص 85، 235، 236.

ذكرها ابن سعيد المغربي[23]، ويقول أبو الفدا عن مدينة طلميثة بأن "... بها قصراً فيه يهود تحت خفارة العرب، وهو عبارة على هيئة برج كبير.... [24]".

أما التجاني بحكم استقراره بإقليم طرابلس وضواحيها فقد ذكر هو الآخر العديد من القصور والحصون التي لم يذكرها قبله أحد ومن هذه؛ القصور: قصر المحرس، وقال عنه: ".... إنه قصر قديم البناء... أهله قوم من هوارة، كانوا ساكنين قبل هذا بالقصور المعروفة بقصور بني خيار فأجلتهم العرب..." [25]، وفي حديثه عن زوارة الصغرى ذكر بأن أمامها قصر يسمى "وِزْدر" قد مُحي رسمه وبقي اسمه وتخرب أكثر البناء الذي يحف به ولم يبق من أهله إلا أناس قليلون، سكنوه حبًا للوطن، وهذا القصر هو المشهور ببيع من يجتاز به من الحجاج وغيرهم للنصارى، ... وكان هذا الفعل فيهم كثيرًا شائعًا فيما تقدم، أما الآن فقد قل ذلك لقلة العابرين به..."، ويذكر التجاني من القصور "قصر تليل" ويصفه بأنه حصن في رأس تل مشرف على البحر وتحف به دور كثيرة معمورة بالبربر، كما ذكر أنه مر بقرية بلماية التي بها قصور مرتفعة متفرقة، وتحدث عن قصور زنزور وهـــي كثيرة، وقـــد استـــولى الرمل علـــى أكثرها، ويجاورها الجامع الذي بجواره قصر خرب متسع يعرفونه بالقصر القديم يقال إنه أول قصر بني بزنزور.[26]

وفي مجمل حديثه عن تاجورة قال إن بها"... قصر متسع يشتمل على دور كثيرة، وفي وسط هذا القصر حصن أقدم بناءً منه، .... وذكر في أعالي وادي الرمل عند سفح الجبل قصر يعرف بصيبار وهو معمور، وبالقرب منه القصر المعروف بقصر فأرة، ويقابله في أعلى الوادي القصور المعروفة بقصور الورانيز، كما ذكر

(23) المصدر نفسه: ص 235– 236.

(24) أبوالفدا، عماد الدين إسماعيل تقويم البلدان، تحقيق: رينو ودي سلان والبان ماك ديسلان، باريس، 1870م، ص 149.

(25) التجاني، الرحلة، ص 85.

(26) المصدر نفسه: ص 209–210، 214–215.

قصر صرمان ووصفه بأنه قصر كبير يأوى إليه أهلها، ومن القصور التي ذكرها "حصن سلمى" وهو في أرض مسلاته، وقد دارت به دور كثيرة. [27]"

ثالثا- الحصون والقلاع والمحارس: اهتم العرب المسلمون بتشييد القلاع والحصون والمحارس ومختلف الاستحكامات في فترة صدر الإسلام للدفاع عن الثغور والحدود، وقد عدّها الإسلام من الوسائل التي تساعد على حفظ النفس والمال. ولما كانت الفتوحات الإسلامية لشمال أفريقية، كان من الضروري ضمان سلامة الحاميات وتأمين البلد ضد تهديد الهجمات من الخارج، وهو ما جعل المسلمين يستفيدون من الحصون البيزنطية القائمة السليمة، كما قاموا بإعادة البناء المتهدم منها، وبنو حصونًا جديدة تحسبًا لأي اعتداء مفاجئ[28].

لقد أشار الجغرافيون والرحّالة في كتاباتهم إلى هذه التحصينات، فيقول البكري في حديثه عن وادي مخيل بأنه: ".... عبارة عن حصن منيع...." [29]، ويقول ياقوت الحموي عن مدينة ودان بأنها قلعة حصينة[30]، وهو ما يؤكد أن بناء الحصون ليس مقتصرًا على السواحل؛ بل تم بناؤها في مناطق الواحات، وفي ذلك يقول أبو الفدا: "وزلة مدينة صغيرة وهي حصن منيع...." [31]، أما إقليم برقة فقد ذكر الإدريسي مدينة طلميثة بقوله: ".... وهي عبارة عن حصن شيد عليه سور وحجارة عشرة أميال..." [32]، ووصف ياقوت الحموي برقة بأن: ".... لها ساحل يقال له أجيه وهي مدينة بها منبر وعدة محارس على ستة أميال من برقة..." [33]، ويصف المراكشي الطريق من القيروان إلى الإسكندرية بأنها تتميز بكثرة حصونها، وفي ذلك

(27) المصدر نفسه، ص 307، 309، 310، 316، 318.

(28) أموريس لومبار، الإسلام في مجده الأول، ترجمة وتعليق: إسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط3، (المغرب، 1990م)، ص 96.

(29) البكري، المسالك والممالك، 649/2.

(30) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 365/5.

(31) أبو الفدا، تقويم البلدان، ص 128.

(32) الإدريسي، نزهة المشتاق، 308/1.

(33) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 289/1.

يقول: ".... وكانت العمارة متصلة من مدينة الإسكندرية إلى مدينة القيروان، تمشي فيها القوافل ليلاً نهارًا، وكان فيما بين الإسكندرية وطرابلس المغرب حصون متقاربة جدًا، فإذا ظهر في البحر عدو نور كل حصن للحصن الذي يليه، واتصل التنوير، فينتهي خبر العدو من طرابلس إلى الإسكندرية، أو من الإسكندرية إلى طرابلس في ثلاث ساعات أو أربع ساعات من الليل، فيأخذ الناس أهبتهم ويحْذرون عدوهم، ولم يزل هذا معروفًا من أمر هذه البلاد إلى أن خربت الأعراب تلك الحصون...." [34].

ومما سبق تبدو الصورة واضحة في أن إقليمي برقة وطرابلس كانا زاخرين بعدد من الحصون والقلاع والمحارس، وبالرغم من تباين التسميات لها، فإنّ هدفها واحد وهو الدفاع عن الثغور والحدود والمدن سواء في المناطق الساحلية أو في مناطق الواحات، وهو ما جعل الفقهاء يصنفونها تصنيفًا يضعها في عداد الواجب لاسيما إذا كانت الحاجة ملحة لاستخدامها في الدفاع عن حرمات المسلمين وديارهم[35].

رابعا– الأسوار والأبواب:

كانت المدن في الزمن القديم تعتمد في الدفاع عن نفسها على مدى قوة أسوارها وتحصيناتها ومناعتهما، وعلى مقدرة أهلها في الدفاع عنها، فكلما كانت الأسوار والتحصينات قوية ومرتفعة استطاع أهلها العيش في أمن وسلام.

وكتابات الجغرافيين والرحالة عن مدن إقليمي برقة وطرابلس لا تخلو من الإشارات التي تدل على وجود الأسوار المنيعة عليها، والتي عادة ما تكون لها أبواب في نواح متفرقة. يقول اليعقوبي في مجمل حديثه عن مدينة برقة: "... وعليها سور وأبواب حديد وخندق، أمر ببناء السور المتوكل على الله[36]،...."[37]، وهو ما يدل

(34) عبد الواحد المراكشي، عبدالواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: خليل عمران المنصور، منشورات دار الكتب المصرية، ط1، بيروت، 1998م، ص 249.

(35) محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، ص 135– 136.

(36) المتوكل على الله: تولى الخلافة بعد أخيه المعتصم سنة 232هـ/ 847 م كان في عهده الأتراك مسيطرين على الوضع، حاول أن يحد من نفوذهم، ولكنهم فتكوا به ليلاً قبل أن يتمكن منهم وكان ذلك سنة

على أن بناء هذا السور قد تم زمن الدولة العباسية، بيد أن لم أجد ذكرًا لهذا السور عند الجغرافيين والرحالة فترة الدراسة، مما يدل على اندثاره أو انهياره قبل حلول القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، ويقول ابن حوقل في حديثه عن مدينة سرت: ".... بأنها ذات سور منيع من طين وطابية...." [38]، وقد حدثنا عنه البكري بقوله: ".... وعليها سور طوب، ولها ثلاثة أبواب قبلي وجوفي وباب صغير إلى البحر، ...." [39]، وهو ما يؤكده كل من الإدريسي وياقوت الحموي[40]، حيث ذكر الإدريسي بأن سرت: ".... عليها سور تراب...." [41]، كما يحدثنا عن مدينة أجدابية بقوله: "...مدينة في صحصاح من حجر مستو كان لها سور فيما سلف..."، ويبدو أن الإدريسي قد شاهد بقايا هذا السور لقوله: "... وأما الآن فلم يبق منها إلا قصران في الصحراء...." [42]، ويصف ابن سعيد مدينة طبرق بقوله: ".... وبقايا أسوار هذه المدينة تدل على قدمها،..." [43]،وهو ما يدل على أن هذه الأسوار قد تم بناؤها قبل دخول المسلمين لبرقة.

ويعدّ سور طرابلس محط أنظار جميع الجغرافيين والرحالة الذين مروا بها، حيث لقي من الوصف ما لم يلقه أي معْلم آخر من معالم المدينة، فذكره المقديسي بقوله: ".... وطرابلس مدينة كبيرة على البحر مسورة بحجارة وجبل، لها باب البحر وباب

247هـ/ 861 م ومنذ ذلك الوقت سيطر الأتراك على الدولة وأصبحت في أيديهم= أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت، 1972م، ص 124.

(37) اليعقوبي، أحمد بن يعقوب، فتوح البلدان، تحقيق: محمد أمين قناوي، منشورات محمد أمين قناوي، منشورات محمد بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب الوطنية، بيروت، 2002م، ص 181، ابن رستة، أبي علي احمد بن عمر، الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، 1891م، م7، ص 343.

(38) ابن حوقل، صورة الأرض، ص 70و أبو الفدا، تقويم البلدان، ص 149.

(39) البكري، المسالك والممالك، 651/2.

(40) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 206/3.

(41) الإدريسي، نزهة المشتاق، 298/1 وكذلك: الحميري، الروض المعطار، ص 312.

(42) الإدريسي، المصدر السابق، 311/1.

(43) ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص 147.

الشرق وباب الجوف وباب الغرب...." [44]، ويقول البكري في وصفه لسور طرابلس: ".... وعلى مدينة طرابلس سور صخر جليل البنيان، ....، إنما بنى سور مدينة طرابلس مما يلي البحر هرثمة ابن أعين[45]، حين ولايته القيروان،...." [46]، ويقول صاحب كتاب الاستبصار عن سور طرابلس: "....والبحر يضرب في سورها من حجر جليل من صنعة الأولين...." [47]، وأشار أيضًا القزويني إلى هذا السور بقوله: ".... ولها سور منحوت من الصخر...." [48].

ويعطي التجاني وصفًا دقيقًا للسور وأبوابه، حيث شاهده ووقف عليه أثناء ترميم وتجديد الأهالي له، فقال: ".... ورأيت بسورها من الاعتناء واحتفال البناء ما لم أره لمدينة سواها، وسبب ذلك أن لأهلها حظًا من مجباها، يصرفونه في رم سورها وما تحتاج إليه من مهم أمورها، فهم لا يزالون أبدًا يجددون البناء فيه ويتداركون تلاشيه بتلافيه، ورأيتهم قد شرعوا في حفر خندق متسع يرومون أن يصلوه بالبحر من كل جانبي البلد، وابتداء حفره من الركن الذي بين القبلة والشرق، وعارضهم في حفره هنالك موضع يعرفونه "بالرملة" وهو حقف رمل متسع لاصق إلى جانب السور ولا يزالون أبدًا يتكلفون نقله من ذلك الموضع، فإذا اجتهدوا جهدهم في حمله ورميه في البحر أعادته الريح كما كان لا تقدمه عن موضعه ولا تؤخره، واختصاص ذلك الموضع بذلك الكثيب من الرمل من أعجب الأشياء...." [49].

---

(44) المقديسي، أحسن التقاسيم، ص 224.

(45) هرثمة ابن أعين: ولاه هارون الرشيد على إفريقية سنة 189 هـ، وقدم إليها في يوم الخميس الثالث من ربيع الأول من نفس السنة، وولى هرثمة على طرابلس الوالي سفيان بن أبي المهاجر، وفي أيامه آمنت الناس واستراحت من الثورات، ولكن البربر أشعلوها من جديد، مما جعله يستقيل سنة 181هـ وسجنه المأمون لاتهامه بممالأته لإبراهيم بن المهدي ومات في السجن 200هـ = الطاهر الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار المعارف، ط2، مصر، 1962م، ص 152.

(46) البكري، المسالك والممالك، 655/2، ونقل عنه: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 25/4.

(47) مجهول، كتاب الاستبصار، ص 110.

(48) القزويني، زكريا محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، 1969م، ص 408.

(49) التجاني، الرحلة، ص 238.

ويختلف الباحثون في تاريخ بناء السور، فبعضهم يرجعه إلى الفترة اللاحقة للقرن الثاني الميلادي[50]، وذكر بعضهم أن مدينة طرابلس ظلت مدينة صغيرة حتى تولى قيصر الروم أسفاروس الحكم، فأمر بإحاطة المدينة بسور من جميع الاتجاهات ما عدا البحر الشمالي الشرقي[51]، وفي العهد البيزنطي نال سور طرابلس شيئًا من الإصلاح، وظل قائمًا حتى الفتح الإسلامي[52]، حيث قام عمرو بن العاص بهدم السور[53]، وفي ذلك يقول التجاني: ".... واحتوى عمرو بن العاص على المدينة فهدم سورها وارتحل عنها، ثم جدد بناء سورها من جهة البر على يد عبد الرحمن بن حبيب[54] المتغلب على أفريقية في آخر دولة بني أمية سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وتأخر بناؤه من جهة البحر إلى ولاية هرثمة بن أعين على أفريقية من قبل هارون سنة ثمانين ومائة، فهو الذي ابتناه على يد ثقته زكريا بن قادم[55]، ثم زاد في

(50) مجموعة من الباحثين، معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا، منشورات اللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم ، طرابلس, 2007 م، ص 204.

(51) الطاهر الزاوي، معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، ط1، طرابلس، 1968م، ص 23-25.

(52) فاتن البنا، محافظة طرابلس دراسة في جغرافية العمران، رسالة ماجستير نوقشت بتاريخ 1977م بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ص 36.

(53) نجم الدين غالب، طرابلس عبر التاريخ، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1978م، ط2، ص 70.

(54) هو عبد الرحمن بن حبيب بن عبيدة بن عقبة بن نافع، كان من أنصار كلثوم، ومن المنهزمين في معاركه مع عكاشة إلى الأندلس سنة 123 هـ، وهو أول متغلب على إفريقية، واستقل بها أيام حكمه عن بني أمية وخلع طاعة أبي جعفر المنصور = الطاهر الزاوي، تاريخ الفتح، ص 128.

(55) هو أحد خواص هرثمة، كلفه بالإشراف على بناء سور طرابلس= المصدر نفسه، ص 152.

إتقانه ورفع بنائه من جهة البر والبحر معًا أبو الفتح زيان الصقلي[56] متولي طرابلس عام خمسين وأربعين وثلاثمائة...." [57].

ويذكر التجاني أنه كان يحيط بهذا السور في زمنه: ".... فيصل آخر أقصر منه على العادة في ذلك يسمونه "الستارة"، ولم يكن في القديم وإنما أمر ببنيانه الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص أيام وصوله إلى طرابلس في شهر شعبان من سنة أربع عشرة وستمائة –رأيت هذا مكتوبًا على باب من أبواب الستارة يعرف بباب عبد الله– ولم يصلوا هذه الستارة حين بنوها بالبحر وإنما انتهوا بها إلى الباب الأخضر وبينه وبين البحر فسحة، فأتمت بالبناء أيام مقامنا بطرابلس، ... ويقابل باب الستارة المعروف بباب عبد الله من السور القديم باب يعرف بباب هوارة، نسبة إلى من نزل به في أول الزمان...." [58]. هذه العناية التي نوه إليها التجاني توضح المدى الذي وصلت إليه استحكامات طرابلس الدفاعية التي استوفت متمماتها الأساسية بسورها العظيم الذي يحيط بها، فهو طوقها الأمني من ناحيتي البحر والبر على مرّ الزمن، على أن هذا السور المحيط بالمدينة من جهاتها المختلفة خماسيّ الأضلاع، وبه أبواب مخصصة لدخول السكان والغرباء وخروجهم، ذكرها التجاني بأسماء مختلفة: باب الستارة، باب هوارة (باب عبد الله)، الباب الأخضر، باب

(56) كنيته أبو الفتوح، ولاه إسماعيل المنصور عاملاً على طرابلس، وقام بأعباء الحكم فيها، وعنى بإصلاح سور المدينة، وزاد في جميع جهاته البرية والبحرية في أيام المعز الفاطمي سنة 345 = المصدر السابق، ص 191.

(57) التجاني، الرحلة، ص 239–240، كذلك: الحشائشي، الرحلة، ص 33، ابن ناصر الدرعي، أبو العباس احمد بن محمد الرحلة الناصرية، مخطوط بالمكتبة الوطنية التونسية تحت رقم 10030 ، مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم 818 جغرافيا، نقلاً عن على فهمي خشيم، الحاجية من ثلاث رحلات في البلاد الليبية، دار الفكر، طرابلس، 1974م، ص17، علي الميلودي عمورة، طرابلس المدينة العربية ومعمارها الإسلامي، دار الفرجاني للنشر والتوزيع (طرابلس، 1993)، ص 186.

(58) التجاني، الرحلة، ص 240، 245.

البحر، باب البر[59].ومما سبق نستخلص أن الأسوار في إقليمي برقة وطرابلس ارتبط بناؤها بالمدن الكبيرة حيث مركز السلطة، وغالبًا ما تكون لها أبواب عليها حراسات مشددة، وما هي إلا استكمالات للتحصينات الداخلية والساحلية التي بنوها أو جددوها من حصون وقلاع ومحارس، حيث تجتمع في نهاية المطاف نحو هدف واحد وهو حماية البلاد من أي اعتداء داخلي أو خارجي مرتقب، حيث كانت المنطقة خلال هذه الفترة مصدرًا للعديد من القلاقل والثورات والانتفاضات.

خامسا– الحمامات والفنادق:

من الملامح المعمارية في مدن برقة وطرابلس وما شد انتباه الجغرافيين والرحالة الحمامات والفنادق، وهي عادة لا تخلو مدينة كبيرة منها. ولو نظرنا إلى الموقع الذي يتميز به إقليمي برقة وطرابلس؛ إذ يمثل حلقة وصل بين المغربيين والمشرقيين سواء تجارًا أو حجاجًا أو عابرين سبيل من ناحية، ومحطات للاستراحة والمتاجرة من ناحية أخرى، وهو ما جعل أهالي هذه المدن يهتمون بإنشاء الحمامات والفنادق، وقد ذكر الجغرافيون والرحالة أثناء حديثهم عن مدينتي برقة وطرابلس وجود الكثير منها، ففي حديث البكري عن مدينة سرت قال: "إن بها حماما،...." وذكر أجدابية بقوله: ".... ولها حمامات وفنادق كثيرة...." [60]، ويقول عن مدينة طرابلس بأن بها: "حمامات كثيرة فاضلة..." [61]، وذكر الحميري أنها كثيرة[62]، ويقول

(59) مفتاح محمد عبد الجليل، وصف طرابلس الغرب في الرحلة التجانية، مجلة الدعوة الإسلامية، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 2000م، ص537، كذلك: سالم سالم شلابي، عناوين على نواصي المحروسة طرابلس القديمة، منشورات مكتبة الفرجاني (طرابلس، 1994م) ص149.

(60) البكري، المسالك والممالك، 651/2.

(61) المصدر نفسه: 655/2.

(62) الحميري، الروض المعطار، ص 389.

صاحب كتاب الاستبصار عن أجدابية: "... وبها حمامات وفنادق كثيرة...."[63]، وهو ما أكده ياقوت الحموي في معجمه عند حديثه عن مدينة أجدابية وسرت[64].

ويطالعنا ابن سعيد بنص عن مدينة طرابلس يوحي بتميزها عن بقية المدن المجاورة لها في برقة وطرابلس بكثرة حماماتها، وذلك قوله: "..... وعلى الجملة فإذا فارقت طرابلس لا تلقى مدينة فيها حمام إلى أن تصل إلى الإسكندرية...."[65]، وقد أشار التجاني إلى جملة من الحمامات التي شاهدها في طرابلس أثناء إقامته فيها بقوله: ".... ودخلت حمام البلد وهو المجاور للقصبة فرأيت حمامًا صغير المساحة، إلا أنه قد بلغ من الحسن غايته، وتجاوز من الظرف نهايته، وكان هذا الحمام من منافع القصبة فبيع من جملة ما بيع منها، وهو الآن محبس على بعض المساجد، وبالبلد حمامان آخران غير أنهما في الحسن دونه..." [66].

ومن النصوص السابقة يظهر بوضوح أن مدينة طرابلس وأجدابية وسرت هي المدن التي تمركزت فيها الحمامات والفنادق، ومرجعية ذلك– حسب اعتقادي– إلى كون هذه المدن كانت تمثل مراكز للتجارة، كما أنها تعد محطات وملتقى لطرق القوافل التجارية البرية ومراسي للتجارة البحرية في تلك الفترة، ومع هذا لا نستطيع أن نجزم بعدم وجود الحمامات والفنادق في مدن وقرى غير هذه، خاصة التي توجد فيها الأسواق من ناحية أو ممر لطرق التجارة والحج من ناحية أخرى، وهو الأمر الذي يتطلبه الغرباء للاستراحة والأمان على أنفسهم وأموالهم من اللصوص وقطاع الطرق.

سادسا– المقابر والأضرحة:

تعد المقابر والأضرحة من المنشآت المعمارية والتي عادة ما توجد في المدن والقرى، وعندما حل العبدري بمنطقة برقة كان أول ما استرعى انتباهه المقابر

(63) الاستبصار، ص 144، كذلك: الحميري، المصدر السابق، ص 12.

(64) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 100/1، 206/3، كذلك الحميري، المصدر السابق، ص 12.

(65) ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص 14 ، ونقل هذا النص حرفيًا ابو الفدا، تقويم البلدان، ص 147.

(66) التجاني، الرحلة، ص 237.

الإغريقية المنحوتة في الصخر. يقول العبدري في وصفه لهذه المقابر: ".... ما رأيت في أرض برقة مع اتساعها ما يحلى بعين الرامق وتعلق به مقة الوامق سوى مسكن، ... وقد رأيت نحو هذا في موضع آخر من أرض برقة...."[67]، وعند رجوعه من أداء فريضة الحج وصف مجموعة أخرى من المقابر المنحوتة حيث يقول: "..... ورأيت ما بين جرسون ومراوة أكامًا غليظة دائرة بديار منحوتة منها في حجر صلد.... وتلك الآكام كلها منحوتة ديارًا على تلك الصفة...." [68].إن هذه المنازل التي يصفها العبدري لم تكن منازل بل هي مقابر منتشرة في معظم المدن الخمس في برقة، والتي أنشأها المستعمرون الإغريق في منطقة الجبل الأخضر، وتعدّ هذه المقابر من أضخم أماكن الدفن في العالم القديم[69]. وقد تحدث الجغرافيون والرحالة عن العديد من القبور والأضرحة والتي منها لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنها للعلماء والصالحين، فيقول البكري في حديثه عن مدينة زويلة: ".... وبزويلة قبر دعبل بن علي الخزاعي الشاعر...." [70]، وقال عنه ياقوت الحموي: "... بأنه الشاعر المشهور،...." [71]. ومن القبور التي وجدت في إقليم برقة قبر رويفع الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم[72].

(67) العبدري، الرحلة، ص 87.

(68) المصدر نفسه، ص 235.

(69) ذكر أحد الباحثين في الآثار الليبية أن هذه المقابر الإغريقية المنحوتة في الصخر من أهمها مجموعتان إحداهما تقع على الطريق القديم المؤدي إلى مدينة سوسة [أبولونيا] والأخرى تلك التي تقع على الطريق القديم المؤدى إلى مدينة البيضاء [بلغراي] وترجع هذه المقابر إلى القرن السادس قبل الميلاد، وهي تتكون من واجهات منحوته في الصخر على الطراز الإيوائي، لها مداخل بسيطة الشكل تؤدي إلى حجرات للدفن= محمد علي عيسى، الآثار الباقية كما وصفا العبدري، مجلة تراث الشعب، منشورات مكتب التراث والفنون، ، طرابلس، 1990م، العدد الرابع، المجلد رقم (1) ص 57.

(70) البكري، المسالك والممالك، 656/2.

(71) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 160/3.

(72) البكري، المسالك والممالك، 650/2- ياقوت الحموي، معجم البلدان، 289/1. ورويفع هو بن ثابت بن السكن بن عدي بن حارثة الأنصاري، صحابي جليل، شهد فتح مصر، ولاه ابن حديج على طرابلس سنة 46هـ وغزا جربة من طرابلس وفتحها سنة 47هـ، توفي ببرقة وهو امير عليها سنة 53 هـ زمن ولاية مسلمة بن مخلد

أما التجاني فقد قدم وصفًا لمقابر طرابلس واتساعها وكثرة القبور بها فقال: ".... ورأيت مقابر طرابلس كلها، فوجدتها قد امتلأت من بني آدم وغلبت عظامهم على تراب الأرض، فلا ترى منها ملء كف من تراب إلا وعليها جمجمة أو عظم ولاسيما الجهة الشمالية منها، وكثيرًا ما يدفنون هناك الغرباء الذين ليسوا من أهل البلد، وهناك مدفن جثة أبي عبد الرحمن يعقوب بن أبي يعقوب يوسف بن محمد الهرغي الثائر بطرابلس، وكان هذا الرجل قد ظهر في أول دولة الأمير ابن زكرياء يحيى ظهورًا عظيمًا، واشتهر بالإقدام والاقتحام في الأمور العظام...." [73]، ويحدثنا التجاني عن قبر موجود في الطريق بين قصر صيبار وبئر طشانة بقوله: "... قبر يعرف هذا الموضع به، فصار القبر اسما علما له، وهو لرجل من العرب ثم من دباب ثم من بني عيسى، واسمه شهوان بن عيسى بن عامر بن جابر بن فائد بن رافع بن دباب، وكان هذا الرجل ذا رئاسة في قومه وصيت بعيد، واشتهر بالكرم، فلم يذكر معه في وقته غيره...." [74]، ويذكر التجاني أثناء إقامته بطرابلس أنه زار بخارج المدينة –بين شرق وشمال– قبر الشيخ الصالح محمد عبد الوهاب القيسي رحمه الله، وهذا الرجل يعظمه أهل طرابلس كثيرًا، حكى لي جماعة منهم: "أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في مقامه نحوًا من أربعمائة، وأنه كان يشاور النبي صلى الله عليه وسلم في أكثر أموره فلا يفعل ما يفعل إلا بإشارته...." [75].

على مصر بإفريقية من قبل معاوية بن أبي سفيان، وكان قبر رويفع قد درس وانمحت معالمه، وعلى غير قصد عثر إنسان على حجر مكتوب عليه: "هذا قبر رويفع بن ثابت الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمنذ ذلك أصبح معروفًا في برقة لا يختلف فيه اثنان تلتمس عنده الرحمات بفضل صحبته للنبي صلى الله عليه وسلم. وكان له جهاد في إفريقية وحضر فتح مصر"= العسقلاني، شهاب الدين بن حجر، الإصابة في تميز الصحابة، مطبعة السعادة، ط1 (القاهرة) 14/2، الطاهر الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ص 78–79، محمد حسين المرتضى، طلائع الفتح الإسلامي في ليبيا وجهاد زهير البلوي ورويفع الأنصاري، البيضاء، ص 133.

(73) التجاني، الرحلة، ص 267.

(74) المصدر نفسه، ص 310.

(75) المصدر السابق، ص 259.

ومن خلال هذه النصوص يتضح أن قبور الشهداء هذه كانت موجودة قبل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ولكن مع حلول القرن الخامس الهجري لم يكن لها أثر، ويبدو أنها اندثرت واختفت، ولازالت هناك مقبرة في مدينة درنة يطلق عليها اسم "قبور الصحابة" إلى وقتنا الحاضر حيث يوجد بها ضريح رويفع الأنصاري وضريح زهير بن قيس البلوي(76)، ولازال الأهالي يلتمسون الرحمات منها بفضل صحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

الخاتمة:

ومن خلال ما سبق توصلنا إلي العديد من النتائج:

1- أن المباني السكنية في إقليمي برقة وطرابلس كانت عبارة عن مساكن مبنية من الحجارة والطين، خاصة منها القريبة من ساحل البحر، وخيام وبيوت شعر وقياطين في مناطق جنوب الواحات، والتي عادة ما يكون سكانها يعتمدون في حياتهم ومعاشهم على تربية الحيوانات والرعي.

2- كان الغرض من بناء القصور هو تحصين السواحل والدفاع عنها من أي اعتداء خارجي، وقد ورد ذكرها في كتابات الجغرافيين والرحالة بأعداد كبيرة وإن اختلفت التسمية من جغرافي إلى آخر، فبعضهم يذكرها باسم قصور، والبعض باسم الحصون، والبعض باسم رباط .

3- كان إقليمي برقة وطرابلس زاخرًين بعدد من الحصون والقلاع والمحارس، وبالرغم من تباين التسميات لها، إلا أن هدفها واحد وهو الدفاع عن الثغور والحدود والمدن سواء في المناطق الساحلية أو في مناطق الواحات .

4- لقد ارتبط بناء الأسوار في إقليمي برقة وطرابلس بالمدن الكبيرة حيث مركز السلطة، وغالبًا ما تكون لها أبواب عليها حراسات مشددة، وما هي إلا استكمالات للتحصينات الداخلية والساحلية التي بنوها أو جددوها من حصون وقلاع ومحارس، حيث تجتمع في نهاية المطاف نحو هدف واحد وهو حماية البلاد من أي اعتداء داخلي أو

(76) لمزيد من المعلومات عن الصحابيين زهير ورويفع ينظر= محمد حسين المرتضى، طلائع الفتح الإسلامي في ليبيا وجهاد زهير البلوي ورويفع الأنصاري.

خارجي مرتقب، حيث كانت المنطقة خلال هذه الفترة مصدرًا للعديد من القلاقل والثورات والانتفاضات.

5- من خلال دراستنا يظهر بوضوح أن مدينة طرابلس وأجدابية وسرت هي المدن التي تمركزت فيها الحمامات والفنادق، ومرجعية ذلك- حسب اعتقادي- إلى كون هذه المدن كانت تمثل مراكز للتجارة، كما أنها تعد محطات وملتقى لطرق القوافل التجارية البرية ومراسي للتجارة البحرية في تلك الفترة، ومع هذا لا نستطيع أن نجزم بعدم وجود الحمامات والفنادق في مدن وقرى غير هذه، خاصة التي توجد فيها الأسواق من ناحية أو ممر لطرق التجارة والحج من ناحية أخرى، وهو الأمر الذي يتطلبه الغرباء للاستراحة والأمان على أنفسهم وأموالهم من اللصوص وقطاع الطرق.

6- وعلى الرغم من وجود الكثير من المناطق الأثرية غير التي ذكرها الجغرافيون والرحالة[77]، فإن المؤرخين لم يهتموا بوصف هذه الأمكنة، ومرجعية ذلك- حسب اعتقادي- اهتمامهم الكبير بدراسة التاريخ السياسي للدول والأمم، الأمر الذي شغلهم عن كتابة ووصف هذه المنشآت المعمارية في الإقليمين، كما أن فتوحات المسلمين ودخول الأعراب من بني هلال وبني سليم للمنطقة- ربما- قلص من هذه المعالم الأثرية القديمة سواء بتدميرها أو بتجديدها وإعادة أعمارها على الطراز المعماري الإسلامي الجديد.

التوصيات:

من خلال قراءة عامة للعمارة الإسلامية في ليبيا وما تتمتع به من معالم حضارية تنم على ازدهار واضح في هذا المجال.

أوصي بتشكيل لجان على مستوى الدولة الليبية تحت مسمى (لجنة الحفاظ على التراث المادي وغير المادي) وبإشراف المشروع الوطني للتراث، ومن كوادر فنية متخصصة في مجال الآثار والتاريخ والسياحة والجغرافيا ، وذلك لحصر جميع المعالم الأثرية الحضارية، والوقوف عليها وإجراء الحفريات والدراسات العلمية حولها في

(77) منها على سبيل المثال: شحات- سوسة- طلميثة- جرمة – توكرة.

محاولة لنفض الغبار عنها، والمحافظة عليها من الضياع والاندثار؛ لأنها تمثل تاريخ ليبيا المشرق والمزدهر.

كما أوصي بتنظيم العديد من الندوات والمؤتمرات وورش العمل بشكل دوري على منوال هذا المؤتمر الذي فتح آفاقاً لإبراز ما تتمتع به ليبيا من معالم أثرية مادية وغير مادية على مر العصور؛ إذ يشكل ذلك ارث حضاري يجب المحافظة عليه وتوصيله للأجيال القادمة لإثبات أن ليبيا لها تاريخ حافل ومزدهر كغيرها من البلاد العربية.

المصادر والمراجع :

أولاً– المصادر:

1- ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد(ت: 630هـ/1232 م)، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، ط3 (بيروت، 1980م).

2- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد عبد الله الشريف (ت: 560هـ/1166م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، ط1 (بيروت، 1989م).

3- البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت: 739هـ/ 1338م)، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، ط1 (1954م).

4- البكري، أبوعبيد الله عبد الله بن عبد العزيز (ت: 487هـ/1094م)، المسالك والممالك، تحقيق: أدريان فان ليوفن، أندري فيري، الدار العربية للكتاب (تونس، 1992م) جزئين.

5- البلاذري، الإمام أبى الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت: 279هـ/ 892م)، فتوح البلدان، تصحيح: عبد القادر محمد علي، منشورات دار الكتب العلمية (بيروت، 2000م).

6- التّجاني، أبو محمد عبد الله محمد بن أحمد (ت: حوالي 717هـ/1317م). رحلة التّجاني، تقديم: حسن حسني عبدالوهاب، الدار العربية للكتاب (ليبيا، تونس، 1981م).

7- ابن حوقل، أبى القاسم محمد بن علي الموصلي النصيبي (ت: 358هـ/ 968م)، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت، 1992م).

8- الحشائشي، محمد بن عثمان التونسي (ت: 1313هـ/1895م). رحلة الحشائشي المسماة "جلاء الكرب عن طرابلس الغرب" تحقيق: على مصطفى المصراتي، دار لبنان، ط1 (بيروت، 1965م) .

9- الحميري، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: خلال القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، دار العلم للطباعة (بيروت، 1975م).

10-ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله بن أعين (ت: 257هـ/870م)، فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق: عبد الله أنيس الطّباع، دار الكتاب اللبناني (بيروت، 1964م).

11- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد (ت: 852هـ/1418م). الإصابة في تمييز الصحابة، مطبعة السعادة، ط1 (القاهرة).

12- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت: حوالي 300هـ/ 912م)، المسالك والممالك، مكتبة المثنى (بغداد).

13- ابن رسته، أبى علي أحمد بن عمر (ت: كان حيًا مطلع القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)، الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل (ليدن، 1891م) م7.

14-ابن رشيد السبتي، أبو عبد الله بن عمر الفهري (ت: 721هـ/1321م) رحلة ابن رشيد السبتي المسماة "ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى مكة وطيبة" مخطوط الاسكوريال، تحت رقم "1736".

15-ابن أبى دينار، أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم القيرواني (ت: 1092هـ/ 1681م). المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1 (تونس).

16-ابن سعيد المغربي، ابى الحسن على بن موسى (ت: 673هـ/1274م)، كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 (بيروت، 1970م).

17-أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت: 732هـ/1330م)، تقويم البلدان، تحقيق: رينو، ودي سلان: وألبان ماك كوكين ديسلان (باريس، 1840م).

18-ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (ت: أواخر القرن السابع الهجري/ أواخر الثالث عشر الميلادي)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولان، وليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3 (بيروت، 1980م).

19- العبدري، أبو عبدالله محمد بن محمد الحاحي (ت: خلال 700- 720هـ/ 1300- 1320م)، رحلة العبدري، تحقيق: أحمد بن جدّو، منشورات كلية الآداب (الجزائر) سلسلة رقم (1).

20-العياشي، أبو سالم عبد الله محمد بن أبي بكر (متوفي: 1090هـ/1702) الرحلة العياشية (فاس، 1316هـ).
21-القزويني، زكريا محمد بن محمود (ت: 682هـ/ 1283م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر (بيروت، 1969م).
22-ليون الأفريقي، الحسن بن محمد الوزان الفاسي (متوفى: 956هـ/ 1548م) وصف أفريقيا، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، راجعة: علي عبد الواحد.
23-مجهول، (ت: خلال القرن السادس الهجري/ الحادي عشر الميلادي)، الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشئون الثقافية العامة، آفاق عربية (بغداد، 1986م).
24-المُرَاكشي، عبد الواحد بن علي التميمي (ت: 647هـ/ 1254م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: خليل عمران المنصور، منشورات دار الكتب المصرية، ط1 (بيروت،1998م).
25-المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري (ت: 380هـ/990م). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ط2 (ليدن، 1909م).
26-ابن ناصر الدرعي، أبو العباس أحمد بن محمد (ت: 1128هـ/1716م). الرحلة الناصرية، مخطوط بالمكتبة الوطنية التونسية تحت رقم "10030"، مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت "818" جغرافيا.
27- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي (ت: 626هـ/1228م)، معجم البلدان، دار بيروت، دار صادر (بيروت، 1979م).
28-النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت: 733هـ/1332م). نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: حسين نصار، مراجعة: عبد العزيز الأهواني، مركز تحقيق التراث (القاهرة، 1983م). الجزء الرابع والعشرون.
29-اليعقوبي، أحمد بن يعقوب إسحاق بن جعفر (ت: 284هـ/897م)، فتوح البلدان، تحقيق: محمد أمين قناوي، منشورات محمد علي بيضون لنشر الكتب السنة والجماعة، دار الكتب الوطنية (بيروت، 2002م). ثانيًا المراجع:

30-أحمد مختار العبادي. في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية (بيروت، 1972م).
31-أموريس لومبار. الإسلام في مجده الأول، ترجمة وتعليق: إسماعيل العربي منشورات دار الآفاق الجديدة، ط3 (المغرب، 1990م).
32-خير الدين الزركلي. الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين والمستشرقين، ط3.
33-سالم سالم شلابي. عناوين على نواصي المحروسة طرابلس القديمة، منشورات مكتبة الفرجاني، ط1 (طرابلس، 1994م).
34-الطاهر الزاوي، معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، ط1 (طرابلس، 1968م).
35-الطاهر الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار المعارف، ط2 (مصر،1962م).
36-علي فهمي خشيم. الحاجية من ثلاث رحلات في البلاد الليبية، دار مكتبة الفكر، ط1 (طرابلس، 1974م).
37-علي الميلودي عمورة. طرابلس المدينة العربية ومعمارها الإسلامي، دار الفرجاني للنشر والتوزيع (طرابلس، 1993م).
38-فاتن محمد محمد البنا. محافظة طرابلس- دراسة في جغرافية العمران- رسالة ماجستير نوقشت بتاريخ 1977م، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة.
39-مجموعة من الباحثين. معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا، منشورات اللجنة الوطنية الليبية للتربية والثقافة والعلوم (طرابلس، 2007م).
40-محمد حسين المرتضى. طلائع الفتح الإسلامي في ليبيا وجهاد زهير البلوي ورويفع الأنصاري (البيضاء).
41-محمد علي عيسى. الآثار الباقية عن القرون الخالية كما وصفها الرحالة العبدري، مجلة تراث الشعب، تصدر عن مكتب التراث والفنون باللجنة الشعبية العامة كالأعلام والثقافة (طرابلس، 1990م) مسلسل رقم (25) العدد (4) المجلد رقم (1).
42-محمد عبد الستار عثمان. المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة (الكويت، أغسطس، 1988م)، العدد 128.

43-محمد عبد الهادي شعيرة. الرباطات الساحلية الليبية الإسلامية "المؤتمر التاريخي المنعقد خلال الفترة من 16-23 مارس 1968م" منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب، إشراف: فوزي جاد الله، ضمن سلسلة ليبيا في التاريخ.

44-محمد يوسف نجم وإحسان عباس. ليبيا في كتب الجغرافيا والرحلات، الناشر دار ليبيا للنشر والتوزيع (بنغازي).

45-مفتاح محمد عبد الجليل. وصف طرابلس الغرب في الرحلة التجانية، مجلة الدعوة الإسلامية، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية (طرابلس، 2000م).

46- نجم الدين غالب الكيب. مدينة طرابلس عبر التاريخ، الدار العربية للكتاب (ليبيا، تونس، 1978م) ط2.